٤

ميادين القتال!!

خلال الأسابيع التى تلت صدمة يونيو.. وخلال يوليو.. وأغسطس.. وسبتمبر إلى آخره في هذه الفترة كانت المعارك في ميادين القتال على أشُدَهَا.. معارك المدافع.. ومعارك إغراق إيلات .. وفي هذه الفترة أيضاً كان هناك طلب من الشباب الجديد المتطوع أن يجعل من عملياته أكثر جرأة.. ويتقدمون ويدخلون بدوريات وراء الخطوط الإسرائيلية عبر قناة السويس لكى يلتحموا مع العدو.. وكانت هناك تعليمات أيضاً أنه باستمرار يتغير شباب هذه الدوريات حتى يتاح لأكبر عدد من الشباب الوجود في المعركة في ملامسة أو اشتباك مع العدو لكسر حاجز الخوف.. ولكى يشعروا بأنفسهم بعيداً عن الخطوط الدفاعية.. وبأكثر من انطلاقات المدافع وبأكثر من إيلات.

وفي نفس الوقت كانت هناك معركة دبلوماسية على خطوط النار في معركة السلاح كدور لمساندة أى عمل دبلوماسى أو سياسى على مختلف القنوات.. وهناك قنوات كثيرة تعمل وهناك قنوات دبلوماسية مباشرة.. وهناك قنوات اتصالات جانبية.. وهناك قنوات الدبلوماسية العامة.

ولكن في هذه اللحظة كان هناك رأى أن تتحدث قناة واحدة عن مصر وليس قناتين أو ثلاثاً.. وهذه القناة هى قناة الوفد الموجود في نيويورك.. لأنه كان هناك إحساس في ذلك الوقت بعد بناء جسور مع فرنسا وإنجلترا وجاء الوقت لبناء جسور مع أمريكا.. وكان هذا ضرورياً.. وكان الإحساس وقتها هو أننا لا نبنى جسراً.. فالطريق ما هو إلا حقل ألغام مفروشاً عن آخره بكل أنواع المتفجرات.. وكان المطلوب في ذلك الوقت فتح ممر شبه آمن بنزع فتيل بعض الألغام.. ولم يكن يتصور أحد في ظل هذه الظروف فتح جسور مع أمريكا كما فعلنا مع الاتحاد السوفييتى.. وهو فتح أبواب وفتح جسور مع فرنسا.. ولذلك تقرر في ذلك الوقت أن المسار الرسمى والوفد الرسمى عليه أن يعمل.. وبعد ذلك تعمل باقى القنوات.. وفي ذلك الوقت كان الاتصال ضرورياً لعدة أسباب.. أولاً لأننا كنا أمام معركة لديها مدى طويل وسوف يغطيها عمل سياسى لهذه الفترة.. وإذا أريد لعمل سياسى أن يكون مؤثراً أو موجوداً لا بد أن تكون الولايات المتحدة طرفاً فيه لعدة أسباب..

أولاً: لا يمكن أن يتحدث أحد عن عمل سياسى بصرف النظر عن اعتقاده بنتائج عملية وحقيقية إلا والولايات المتحدة موجودة فيه.. وحقائق موقف دولى وحقائق لحظة تاريخية معينة لا يستطيع أحدٌ مهما كانت عواطفه أو مشاعره أن يهرب من هذه الحقيقة..

ثانياً: الموضوع كان مهماً بالنسبة للاتحاد السوفييتى نفسه لأنه كان مهماً ألا نكون بمفردنا مع الاتحاد السوفييتى.. وكان هذا من دواعى فتح جسور مع أوروبا الغربية.. وقلنا إنه إذا لم تكن هذه الجسور موجودة بالفعل لوجب اختراعها.. ووجب تنفيذها.. أو العمل على إنشائها.. والعلاقة مع الولايات المتحدة ضرورية لطمأنة الاتحاد السوفييتى وضرورية لتشجيع أوروبا أن تقوم بدور.. وضرورية من ناحية أصدقاء لنا لهم رؤى مختلفة حول الاتحاد السوفييتى.. والولايات المتحدة الأمريكية.. ورأيهم وقد يكون له منطق يسنده.. وهو أن السياسة المصرية استفزت الأمريكان.. ولابد أن نلطف قليلاً.. وفي هذه اللحظة كان لابد من تفعيل قناة واحدة فقط للعمل السياسى وهى القناة الدبلوماسية المصرية.

حقل الألغام

وكان الذي يقود هذه العملية في نيويورك في الأمم المتحدة وفي مجلس الأمن هو الدكتور (محمود فوزى) .. وتحدثت عنه فيما سبق كثيراً وسألجأ قليلاً لهذه الفترة لبعض الوثائق.. ففي هذه الفترة جاءت أول برقية من (محمود فوزى) خاصة بذهابه إلى نيويورك في أوائل يوليو.. ثم أرسل برقية ١٦ يوليو قال فيها أنه قابل المندوب الأمريكى (جولد برج) وأناساً كثيرين.. لكن قيل له صراحة بطريقة غير مباشرة من كل الوفود العربية أن الرسالة واضحة من أرثر (جولد برج) وهو المندوب اليهودى في ذلك الوقت للولايات المتحدة في الأمم المتحدة.. وهو المندوب الدائم للرئيس (جونسون) وهو الأقرب له في ذلك الوقت وهو الذي طلب في هذه اللحظة وهو من أكبر أصدقاء إسرائيل.

وفي أول البرقية قال (جولد برج) لكل الوفود العربية لأن كل الوفود العربية أرسلت جزءاً منها لنيويورك.. وهنا الوفد المصرى مكلف بشيئين ألا وهو حضور هذه المناقشات بالطبيعة الجارية في الأمم المتحدة ومجلس الأمن حول مشكلة الشرق الأوسط.. ثم هو مكلف أيضاً بفتح هذا الممر وسط حقل ألغام.. والوفد كان قوياً فكان فيه (محمود فوزى) .. و(محمود رياض).. والدكتور حسن صبرى الخولى.. وأشرف غربال.. وهى مجموعة قوية.. بل وأحسن مجموعة كان من الممكن أن توجد في نيويورك في هذه اللحظة.. وقال (محمود فوزى) في البرقية أن كل بلد منكم لا بد أن يعقد صلحاً مع إسرائيل في هذه اللحظة ثم تبقى في موقعها.. والولايات المتحدة لا يهمها أن تقوم.. أو تبقى حكومة عربية أو تسقط.. فلتسقط حكومات عربية كثيرة حتى تأتى الحكومة الملائمة التى يكون في مقدورها أن توقع صلحاً مع إسرائيل.. وكانت هذه فاتحة برقية (محمود فوزى) .. ولم تكن مبشرة لا بأمل ولا بخير.. لكنى اعتقد أن الدكتور فوزى وصف حقيقة الموقف.. وما يحدث ؤفي وقته.

وانتقل لبرقية يوم ١٦ يوليو من فوزى والتى قال فيها أن الأمور واضحة جداً.. ويجب أن تعقد الحكومة العربية صلحاً نهائياً مع إسرائيل.. ومن لم يستطع فسيقع.

وبعد ذلك نجد أن حسن صبرى الخولى لم يلحق بالوفد.. وكان الممثل الشخصى للرئيس وقتها في اجتماعات القمة العربية.. ولأنه لما بدأت هذه القمم العربية اتفق الزعماء العرب على تسهيل الأمور.. وتشكيل لجنة اتصال فيها ممثلون للرؤساء تواصل متابعة تنفيذ ما توصلوا له مع الأمانة العامة للجامعة العربية بطبيعة الحال.

وفي يوم ٢٠ أغسطس وقبلها ١٧ أغسطس نجد أن السفير دونالد برجس سيحضر للقاهرة للالتحاق بالسفارة الأسبانية التى هى قائمة على شئون المصالح الأمريكية في القاهرة.. فعندما تقطع الدول علاقتها بينها وبين بعضها عادة تختار كل دولة دولة سفارة دولة أخرى لتمثلها في مصالحها المعنية بالبلد الآخر.. والسفارة الأسبانية في ذلك الوقت كانت هى الممثلة لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية.

وأخطرونا أن دونالدس برجس قادم.. ودونالد برجس هو سفير ملحق بالسفارة الأسابنية بالقاهرة.. رأى حسن الخولى قبل أن يلتحق بالوفد.. وهنا قال له إنه يتأسف لحضوره في هذه الظروف الصعبة.. وأنه قد عرفه في ظروف سابقة.. وأنه في حيرة ولا يعرف ماذا يفعل.. فقال له حسن صبرى الخولى ـ وكان وقتها الرجل الثانى أو الثالث في وزارة الخارجية ـ إنه يستطيع أن يتصل بواحدٍ من اثنين فقال له تستطيع الاتصال بـ (زكريا محيى الدين) نائب رئيس الجمهورية في ذلك الوقت.. أو هيكل.. وكان رأى (جمال عبد الناصر) هو ألا يتصل أى أحد في ذلك الوقت.. وهناك العديد من البرقيات أمامى فيها أشياء غريبة.. منها أن الأمم المتحدة قررت قطع المعونة عن السودان إذا لم يعلن السودان عن عودة العلاقات بينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية.. وكان السودان قد قطع علاقته بالفعل بعد أن ظهر التدخل الأمريكى في ٧ و٨ و٩ يونيو ٦٧ وضمن حكومات عربية كثيرة.. فبدأوا بالسودان كأنه أمراً مقصوداً.. والشيء الآخر أنه في برقية أخرى أرسلها بتاريخ ٣ أكتوبر "دين راسك" وزير الخارجية الأمريكية سأل الدكتور (محمود فوزى): هل مصر كلها تتحدث بصوت واحد.. فرَدَ عليه فوزى أن هناك وفد واحد يمثل الجمهورية العربية المتحدة وليس لأى أحد أى شيء آخر وهذا ما لدى من القاهرة.

ثم قال له "راسك" إنه لا يرى موقفاً عربياً موحداً فيرد عليه بأن قرارات الخرطوم هى التى تمثل الرأي العربى الموحد.. وإذا كنتم قد سمعتم آراء أخرى.. مثل قرار واشنطن بمنع استيراد القطن من مصر ومقاطعة النسيج المصرى.

❖❖❖